Türkiye İlahiyat Araştırmaları Dergisi
Türkiye Journal of Theological Studies
[Tiad-2017]

2024, 8 (2), 162-191 | Araştırma Makalesi

Kur'ân-ı Kerîm'in Metin Bütünlüğünün Özellikleri ve Alvânî'deki Uygulamaları: Tevhid ile Muhkem ve Müteşabih Konuları Örnekliğinde

Hasan ALKHATTAF [1]

Öz

Dr. Alvânî Kur'an araştırmalarıyla ilgilenmiştir. Kendisini en çok meşgul eden meselelerden birisi Kur'an'daki metin bütünlüğüdür. Metin bütünlüğü tevhid, tezkiye ve medeniyet kavramlarında gizlidir. Alvânî bu bütünlüğü birkaç meselede temel olarak almıştır. Bunlardan öne çıkanlar tevhid ile muhkem ve müteşâbih meseleleridir. Bu çalışmanın önemi metin bütünlüğünün özelliklerini, nasıl şekillendiğini, entelektüel çalışmalar için gerekliliğini ve ona ulaştıran kuralların neler olduğunu ortaya koymaktır. Bu çalışma üç bölüme ayrılmış olup eleştirel yaklaşım başta olmak üzere çeşitli yöntemler kullanılmıştır. Bu araştırmada metin bütünlüğünün, çerçevesi tam olarak çizilmemiş bir ifade olduğu ve Alvânî'nin tevhid anlayışının, gayb ve ilâhiyat kavramları gibi birkaç kavramla karıştığı görülmektedir. Ayrıca bu çalışma Alvânî'nin muhkem ve müteşâbih kavramlarına dair deliller sunmadığını, özellikle ayetlerin bağlamının dışına çıkmak gibi birkaç hataya düştüğünü ortaya koymaktadır. Bu makalede Dr. Alvânî'nin, İbn Teymiyye'nin bu kavramları akîdevî bir yönelimle kullandığına dikkat etmeden kendisinden etkilendiği görülmektedir.

Anahtar Kelimeler: el-Alvâni, Tevhid, Muhkem ve Müteşabih, İbn Teymiyye, Metin Bütünlüğü.

Alkhattaf, Hasan. "Kur'ân-ı Kerîm'in Metin Bütünlüğünün Özellikleri ve Alvânî'deki Uygulamaları: Tevhid ile Muhkem ve Müteşabih Konuları Örnekliğinde". Türkiye İlahiyat Araştırmaları Dergisi 8/2 (Haziran 2024), 162-191. https://doi.org/10.32711/tiad.1457416.

Geliş Tarihi	22.03.2024
Kabul Tarihi	28.05.2024
Yayın Tarihi	30.06.2024
*Bu **CC BY-NC** lisansı altında açık erişimli bir makaledir.

1 Hasan Alkhattaf /İnanç ve Felsefe Profesörü, Katar Üniversitesi, Şeriat ve İslam Araştırmaları Koleji, Doha, Katar, publichattaf@qu.edu.qa, ORCID:0000-0003-3800-8078

Türkiye İlahiyat Araştırmaları Dergisi
Türkiye Journal of Theological Studies
[Tiad-2017]

2024, 8 (2), 162-191 | Research Article

Alwani Monotheism, the Definitive, and the Ambiguous as Examples

Hasan ALKHATTAF [1]

Abstract

Dr. Al-Alwani focused on Quranic studies, particularly on the structural unity within the Quran, which he found essential to issues like monotheism and the interpretation of clear and ambiguous verses. His work highlighted the structural unity in terms of monotheism, purification, and development, using this unity as a basis for several issues, notably the concepts of monotheism and the differentiation between clear and ambiguous verses. The significance of the study lies in revealing the features of this unity and its formation. What is their significance for intellectual reviews? What are the controls for accessing them? The study was divided into three sections and used several methodologies, most notably the critical approach. It was revealed that Al-Alwani's concept of structural unity was undisciplined, and his understanding of monotheism was confused with other concepts like the metaphysical and divine. The study also noted that he did not provide evidence for his interpretations and made several errors, particularly in exceeding the context of the verses. Additionally, it was found that Al-Alwani was influenced by Ibn Taymiyyah, without realizing that Ibn Taymiyyah's concepts were shaped by doctrinal orientation.

Keywords: Al-Alwani, Monotheism, the Definitive and the Ambiguous, Ibn Taymiyyah, Structural Unity

Alkhattaf, Hasan. "Alwani Monotheism, the Definitive, and the Ambiguous as Examples". *Türkiye Journal of Theological Studies* 8/2 (Haziran 2024), 162-191. https://doi.org/10.32711/tiad.1457416.

Date of Submission	22.03.2024
Date of Acceptance	28.05.2024
Date of Publication	30.06.2024
*This is an open access article under the **CC BY-NC** license.

1 Hasan Alkhattaf /Professor of Creed and Philosophy, Qatar University, College of Sharia and Islamic Studies, Doha, Qatar, halkhattaf@qu.edu.qa, ORCID:0000-0003-3800-8078

Türkiye İlahiyat Araştırmaları Dergisi
Türkiye Journal of Theological Studies
[Tiad-2017]

2024, 8 (2), 162-191 | Research Article

ملامح الوحدة البنائية للقرآن الكريم وتطبيقاتها عند العلواني
"قضيتا التوحيد والُمحكم والمتشابَه نموذجاً"

Hasan ALKHATTAF [1]

ملخص

اهتم الدكتور العلواني بالدراسات القرآنية، ومن أبرز القضايا التي شغلته الوحدة البنائية في القرآن، والوحدة البنائية تكمن في التوحيد والتزكية والعمران، وجعل هذه الوحدة أساسا لقضايا عدة ومن أبرزها قضية التوحيد وقضية المحكم والمتشابه، تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن ملامح الوحدة البنائية وكيف تتشكل؟ وما أهميتها للمراجعات الفكرية؟ وما الضوابط للوصول إليها، وقد قسّمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث، واستعملت عدة مناهج ومن أبرزها المنهج النقدي

وقد تبين من الدِّراسة أن الوحدة البنائية عند العلواني مفهوم غير منضبط، كما تبين أن مفهوم التوحيد عنده اختلط بين عدة مفاهيم كمفهوم الغيبيات والإلهيات، وتبين من الدراسة أنه لم يقدمّ أدلة على فهم المحكم والمتشابه، ووقع في أخطاء عدة وأبرزها تجاوز السياق الوارد في الآيات.

وظهر من الدِّراسة أن العلواني تأثر بابن تيمية، مع عدم انتباه الدكتور العلواني أن هذه المفاهيم عند ابن تيمية جاءت وفق توجه عقدي..

الكلمات المفتاحية: العلواني، التوحيد، المحكم والمتشابه، ابن تيمية، الوحدة البنائية.

Alkhattaf, Hasan. "'ملامح الوحدة البنائية للقرآن الكريم وتطبيقاتها عند العلواني' قضيتا التوحيد والُمحكم والمتشابه نموذجاً". Türkiye İlahiyat Araştırmaları Dergisi 8/2 (Haziran 2024), 162-191. https://doi.org/10.32711/tiad.1457416.

Date of Submission	22.03.2024
Date of Acceptance	28.05.2024
Date of Publication	30.06.2024
*This is an open access article under the **CC BY-NC** license.

[1] حسن الخطاف / Hasan Alkhattaf /Professor of Creed and Philosophy, Qatar University, College of Sharia and Islamic Studies, Doha, Qatar, halkhattaf@qu.edu.qa, ORCID:0000-0003-3800-8078

المقدم:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن آيات القرآن الكريم كانت أول صلة للوحي بالنبي –عليه الصلاة والسلام– ومنه تشكّلت كبرى القضايا العقدية كالإيمان بوحدانية الله والبعث بعد الموت... واستندت على القرآن الكريم كلُّ القيم الإنسانية المشتركة العابرة للأديان والثقافات كالعدل والبر...

وقد قامت عليه الحضارة الإسلامية وتفرعت منه العلوم، وبذلك كان القرآن الكريم الموجِّه لقيام الأمة والباعث على نهضتها، ثم تراجعت الأمة وتفتّت بابتعادها عنه.

هذه المركزية للقرآن الكريم كانت مشعلا وقّادا للدكتور طه جابر العلواني، فالناظر في تراثه يجد هذا الوهج القرآني حاضرا في معالجة حالة تمزق الأمة، ويجد القارئ هاجس ضغط المراجعات لتراث الأمة: العقدي والفقهي والأصولي... حاضراً في كتبه.

قد وجد الدكتور العلواني مبتغاه في القرآن الكريم ليكون مرتكزا يبني عليه هذه المراجعات، فكان تدبُّر القرآن محورا له في جلِّ دراساته، إما تخصيصا لهذه المراجعات ككتاب الوحدة البنائية للقرآن المجيد، ومعالم في المنهج القرآني، وإما تضمينا في بعض الكُتُب ككتاب نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، وكتاب التوحيد والتزكية.

يرى الدكتور العلواني أنَّ الوحدة البنائية – التي جعلها حَكَمًا– هي خيط ناظم لكل الآيات القرآنية في السورة من جهة، ولكل سور القرآن من جهة أخرى، وهذا الانتظام مرتبط بعلاقات، وهذه العلاقات يمكن للباحث المتدبر الوصول إليها، وهذا ما عبَّر عنه في كتابه" أفلا يتدبرون القرآن"، وقد أطال التمهيد للوصول إلى ذلك بالحديث عن مفهوم المنهج والمنهجية والعقل الفطري والعملي.

وللوصول إلى ذلك لابدّ من الإيمان بالوحدة البنائية، والتدبر القرآني وقراءة القرآن والتمكّن من القراءتين: قراءة الوحي المعصوم والكون المنظور، ويتعين للوصول إلى ذلك إزاحة كل العوائق، وأبرزها القراءة الإيديولوجية والتبعيضية التي انتجت إشكاليات عدة ينبغي التخلص منها، ومن أبرزها قضية الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه... وبحثنا يتحدث عن هذه الوحدة وعن معالمها.

وهذه الدراسة متعلقة بالدكتور طه جابر العلواني الذي ولد في العراق سنة 1935م، حاز على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه من جامعة الأزهر، في تحقيق ودراسة كتاب (المحصول في علم أصول الفقه) الإمام فخر الدين الرازي، وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بطبعه ونشره في ستة مجلدات 1980. والطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992.

شارك في تأسيس المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ في الولايات المتحدة عام 1981م، وترأس المعهد العالمي

للفكر الإسلامي مدة طويلة، ثم ترأس جامعة قرطبة في الولايات المتحدة، كان عضو مجمع الفقه الإسلاميّ الدوليّ بجدة ورئيس المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية، عرف الدكتور العلواني بحرصه الشديد على إعادة الأمة إلى مجدها الفكري والحضاري، ورأى في القرآن الكريم منهجا لتصحيح الفكر.

عمل فترة طويلة في السعودية أستاذاً للفقه والأصول في كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود من سنة 1975م وحتى 1984م، وحضر عشرات من الندوات والمؤتمرات، وعمل أستاذاً زائراً لدول كثيرة منها ولمرات عديدة ومنها جامعات ماليزيا، السودان، الجزائر، بروناي، واشنطن... وله الكثير من البحوث العلمية المحكمة، وترك وراءه الكثير من الكتب ومنها: أفلا يتدبرون القرآن، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، معالم في المنهج القرآني، نحو إعادة بناء علوم الأُمّة الاجتماعية والشرعية بالاشتراك مع د. منى أبو الفضل، مفاهيم محوريّة، بالاشتراك مع د. منى أبو الفضل، التعليم الديني بين التجديد والتجميد، نحو التجديد والاجتهاد، جزءان، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، نحو موقف قرآني من النسخ، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، الجمع بين القراءتين، مقدمة في إسلاميَّة المعرفة[4].

موضوع البحث :

يتعلق موضوع البحث بالكشف عن ملامح الوحدة البنائية للقرآن الكريم، وكيف قام بتطبيقها على قضيتي المحكم والمتشابه وقضية التوحيد اللتين شغلتا المسلمين في كتب التراث.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في السعي للكشف عن ملامح الوحدة البنائية للقرآن الكريم التي جعلها محورا لدراساته وأساسا – فيما يراه– لتصحيح كثيرٍ من الأفكار ولإعادة التألق للقرآن الكريم، وتمَّ اختيار قضية التوحيد باعتبارها قضية مركزية في العقيدة، وقضية المحكم والمتشابه لا تخلو منها كتب الكلام والأصول وعلوم القرآن، وزيادة على ما تقدّم فإنَّ الدكتور العلواني خصّص كتابا منفصلا لكل مسألة من هاتين المسألتين،

[4] انظر فيما سبق أغلفة الكتب الخاصة به، وانظر إلى موقعه الإلكتروني: https://alwani.org/?p=3078

وما ذاك إلا لأهميتهما.

ويُفترض أن تجيب الدِّراسة – في سياق الأهمية- عن الأسئلة الآتية :

1. ما المقصود بالوحدة البنائية للقرآن الكريم؟ وكيف تشكلت؟ وما أهميتها للمراجعات الفكرية؟
2. ما مدى الوثوق بهذه الوحدة؟ وما الضوابط لها؟
3. ما الأدوات المنهجية التي سلكها في الوصول إلى الوحدة البنائية؟

أهداف البحث:

للبحث أهداف كثيرة ومن أبرزها:

1. تعلُّق هذه الدراسة بشخصية اهتمت بمراجعة تراث الأمة وسعت – ضمن المحاولات الجادة – للنهوض بها .
2. الرغبة في الكشف عن هذه الوحدة البنائية، وعن المنهج الذي سلكه، وفحص واستثمار الوحدة البنائية للتعامل مع قضايا التراث.
3. الرغبة الخاصة مني بإعادة النظر في كثير من المباحث –وخاصة المباحث الكلامية- انطلاقاً من التوجهات القرآنية لأنه السبيل الأمثل في المراجعات.

المنهج المتبع في البحث:

واضح من العنوان أني سلكت المنهج الوصفي والمنهج النقدي، لكنَّ هذين المنهجين قاما على المنهج الاستقرائي، فقد تتبعتُ –في حدود علمي- ما ذكره الدكتور العلواني في مسألتي التوحيد ومسألة المحكم

والمتشابه.

هيكل البحث :

قُسّمت الدارسة إلى ثلاثة مباحث، وجعلت لكل مبحث مطلبين، وهذه المباحث مع المطالب هي:

المبحث الأول: المنهجية والوحدة البنائية

المطلب الأول: المنهجية

المطلب الثاني: الوحدة البنائية

المبحث الثاني: مفهوم التوحيد، والوحدة البنائية

المطلب الأول: الهواجس المتعلقة بالتوحيد والدافعة لاستجلاب الوحدة البنائية

المطلب الثاني: مفهوم التوحيد وعلاقته بالوحدة البنائية

المبحث الثالث: مفهوم المحكم والمتشابه وعلاقتهما بالوحدة البنائية

المطلب الأول: الهواجس المتعلقة بالمحكم والمتشابه والدافعة لاستجلاب الوحدة البنائية

المطلب الثاني: مفهوم المحكم والمتشابه وعلاقته بالوحدة البنائية

الخاتمة ثم الفهرسة

المبحث الأول: 1. المنهجية والوحدة البنائية

المطلب الأول: 1.1 المنهجية

يُعد اهتمام العلواني بقضية التوحيد وبقضية المحكم والمتشابه جزءاً من اهتماماته المنهجية التي أفرغ لها الوقت الطويل من حياته، وهي جزء أيضاً من دراساته القرآنية التي شغلته في الكثير من كتبه، وهذه الانشغالات عبارة عن مراجعات فكرية تستند على المنهج القرآني الذي سعى في نظره إلى استخلاصه من دراساته المتعلقة بالمنهج.

والمنهج عنده وسيلة إلى قيادة العقل الإنساني في الوصول إلى الحقيقة، أو إلى ما يغلب على الظن أنه الحقيقة حتى لو لم تكن هي الحقيقة في الواقع[5]، ونفهم مما سبق أن استخلاص المنهج كان شغلاً شاغلاً له، فقد كان منشغلا في الكشف عن هذا المنهج مدة اقتربت من ثلاثين عاماً[6]، وهو يرى أن المنهجية لها الدور الكبير في إبراز الأفكار وتوليدها واختبارها، وبذلك تكون المنهجية خيطا ناظما للنظريات

[5] انظر: طه جابر العلواني، *معالم في المنهج القرآني* (جمهورية مصر: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، 2010م)، 27.

[6] العلواني، *معالم في المنهج القرآني*، 19.

والأفكار وتجيب عن الأسئلة والافتراضات[7]

والقصد من حديثنا عن الجوانب المنهجية التي ذكرناها جاء لبيان أن معالجة الدكتور العلواني لقضية التوحيد والمحكم والمتشابه جاءت انطلاقاً من معالجة قرآنية تقوم على تبيان المنهج، فهو يرى "أن مفهوم المنهاج القرآني أهم المفاهيم القرآنية بعد التوحيد"[8] أي أنه لن يدرس قضية المحكم والمتشابه وقضية التوحيد التي ربطها بالمنهج من حيث الأهمية دراسة موضوعية منفصلة عن غيرها، وإنما يدرسهما انطلاقاً من المنهجية القرآنية التي كرَّس جهداً طويلاً من حياته له.

والمنهجية القرآنية عنده تقوم على اكتشاف الوحدة البنائية للقرآن الكريم، وهذه الوحدة تفترض شرطين مهمين: الابتعاد عن الانتقائية والتخيير في قراءة الآيات القرآنية، والثاني الابتعاد عن القراءة الجزئية.

والذي استخلَصَه مما سبق أن القراءة الشمولية للآيات القرآنية ضمن الشرطين السابقين هي التي ترسم المنهج القرآني، وأن هذه القراءة الشمولية هي التي ينبغي الركون إليها في اكتشاف ملامح الوحدة البنائية للقرآن الكريم، وهذه القراءة هي الكفيلة في المراجعات الفكرية لكل القضايا ومنها قضية التوحيد، وقضية المحكم والمتشابه[9].

والمحددات المنهجية القرآنية تتكون عنده من ثلاثة محددات منهجية:

الأول: التوحيد باعتباره محور الرؤية الكلية القرآنية.

الثاني: الجمع بين القراءتين: أي قراءة الوحي وقراءة الكون.

الثالث: الوحدة البنائية للقرآن الكريم والاستيعاب الكوني[10].

هذه المحددات مهمة في بحثنا، ومنها ندرك أنه لا مقارنة بين النظر إلى التوحيد، والنظر إلى قضية المحكم والمتشابه من حيث الأهمية، فالمحكم والمتشابه قضية جزئية إذا ما قيست بقضية التوحيد، والتوحيد مع غيره هو الذي يتحكم في فهم القرآن، ولأجل هذه المحددات فهو يرى أنه لا ينبغي تصنيف القرآن "إلى محكم ومتشابه، فكله محكم ... وكله يشبه بعضه بعضاً في إحكامه وإعجازه وتحدّيه ... كما لا يجوز تصنيفه

---

[7] طه جابر العلواني، *ابن تيمية وإسلامية المعرفة* (الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ/1995م)، 63-64.

[8] العلواني، *معالم في المنهج القرآني*، 68.

[9] نذكِّر هنا أن الدكتور العلواني يشترط شرطاً ثالثاً للوصول إلى هذه المعالم، وهو استبعاد القراءة المؤدلجة التي تقوم على تبني الفكرة مسبقاً، ثم تحاول هذه القراءة أن تفهم الآيات القرآنية في ضوئها. انظر: العلواني، *معالم في المنهج القرآني*، 76-77 والذي أراه أن هذا الشرط داخل في مفهوم الشرط الأول، فالانتقائية والتحيز لا تكون إلا انطلاقا من أيدلوجية مسبقة.

[10] انظر: العلواني، *معالم في المنهج القرآني*، 83-85.

إلى محكم وشاذ... فذلك ... مناف لوحدته البنائية"[11].

أي أن الوحدة البنائية تتصادم مع القول بوجود محكم ومتشابه، وأن الوحدانية لله تعالى باعتبارها مكوّناً من مكونات الوحدة البنائية هي جزء مهم للتخلص من مفهوم المحكم والمتشابه، لأن جزءا من غاية " تحرير الإنسان عقلاً ونفساً وقلباً ووجداناً من الخرافة والأوهام والمشاعر السلبية"[12].

المطلب الثاني: 2.1 الوحدة البنائية

حديث الدكتور العلواني عن الوحدة البنائية منشور في أكثر من كتاب، ومنها كتاب معالم المنهج القرآني، وقد خصَّص كتاباً كاملاً لهذا الغرض باسم " الوحدة البنائية "[13].

تحدث في هذا الكتاب عن المراد بالوحدة البنائية وعن ضرورتها، وكيف اكتشف العلماء هذه الوحدة، وعن آثار هذه الوحدة، وعن بعض نماذج الوحدة الموجودة في بعض السور، ولن نقف عند هذا الكتاب إلا في الحدود التي ترتبط ببحثنا، وأبرز ما يرتبط به هو مفهوم الوحدة وأهميتها وكيفية الوصول إليها، ونقصد بكيفية الوصول: الأدوات التي يحتاجها القارئ للوصول إلى هذه الوحدة.

والمقصود بالوحدة البنائية أن القرآن الكريم " بكل سوره وآياته وأجزائه وأحزابه وكلماته يعتبر كأنه جملة واحدة، " وهذه الوحدة هي وحدة محكمة، وهي مأخوذة "من إحكام البناء بحيث يمتنع أي اختراق له لمتانه وقوته"[14].

وليس من السهولة الوصول إلى هذه الوحدة، فتفسير القرآن بالقرآن — مثلا– لم يؤد إلى بروز نظرية الوحدة البنائية، فالمفسر على الرغم من امتلاكه الملكة لفهم أساليب القرآن ونظمه إلا أن التفسير لم يوصل صاحبه إلى الكشف عن الوحدة البنائية للقرآن المجيد [15].

وهذه الوحدة البنائية موجودة في كل سورة، وفي الوقت ذاته موجودة في القرآن الكريم بكامله، وهذه الوحدة تقوم على ثلاثة أعمدة: العمود الأول التوحيد، والثاني التزكية، والثالث العمران، وقد يتقدم أحدها على الآخر، فقد يكون عمود السورة التزكية مثلاً وترتبط به التوحيد والعمران[16]، وبناء على هذا يكون التوحيد عموداً من الأعمدة، أما المحكم والمتشابه فيناقش ويحاكم مفهومه من خلال هذه الأعمدة، وهذه

---

[11] العلواني، *معالم في المنهج القرآني*، 85–86.

[12] العلواني، *معالم في المنهج القرآني*، 82–83.

[13] طبع الكتاب سنه 2006 في مكتبة الشروق الدولية، وجاء في خمسة وتسعين صفحة، عدا الهوامش والمصادر في الأخير.

[14] طه جابر العلواني، *الوحدة البنائية للقرآن المجيد* (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006م)، 13.

[15] انظر: العلواني، *الوحدة البنائية*، 17، 34- 35.

[16] العلواني، *الوحدة البنائية*، 81.

الأعمدة الثلاثة موجودة في كتابه "التوحيد والتزكية والعمران"[17] وبناء على ما سبق ينبغي أنْ نفهم كل القضايا في ضوء هذه الأعمدة، وهذه الأعمدة هي الأساس في الإصلاح وهي موجودة في القرآن الكريم، وبناء على هذا يكون القرآن مرجعا، فهو الذي يقوم بالتصديق والمراجعة ثم الهيمنة على سائر المناهج المطروحة وإعادة صياغتها... وإصلاحها وتنقيتها"[18].

المبحث الثاني: 2. قضية التوحيد والوحدة البنائية

المطلب الأول: 1.2. الهواجس المتعلقة بالتوحيد والدّافعة لاستجلاب الوحدة البنائية[19]

هناك هواجس عديدة دفعت الدكتور العلواني لاستحضار الوحدة البنائية، فمن جهة واقع الأمة المثقل بالتراجع والانحطاط على جميع المستويات، ومن جهة أخرى قدرة القرآن على النهوض بهذا الواقع، والسبيل للتخلص من هذه الهواجس وضغط المراجعات هو إعادة تفعيل دور القرآن الكريم، ولعل هذا هو الذي دفعه إلى تبني مشروع إسلامية المعرفة؛ إذ من أبرز أهدافها أن يكون هناك ربط بين الوحي وبين القيم التي ينبغي القيام بها، وبين قراءة الكون، وبذلك تتحقق السعادة للبشرية[20]، ولا تتحقق إلا من خلال التوحيد، ونظرا إلى أهمية التوحيد تحدّث عنه بإسهاب في كتابه "التوحيد والتزكية والعمران"، وتحدث عن التوحيد باختصار في كتابه "الوحدة البنائية" [21].

وأبرز ما قاله عن العقيدة أن أدلتها ينبغي أن " تكون قطعية لا ظنية، وأن تكون محدودة وواضحة وشاملة ... وأن القرآن جاء بهذا، وأنه قدم أدلة كثيرة، وفي مقدمتها دليل الخلق، ثم دليل العناية، ثم دليل الإبداع ودليل التمانع، واستمر هذا الأمر إلى أن دخلت الفلسفة وتم التعلق بالمنطق اليوناني فتحول الأمر من علم التوحيد القرآني إلى علم الكلام... مهمته إيراد الشبهات المختلفة...فإذا بكل تلك اليقينيات القرآنية تصبح مادة جديدة للجدل... وهكذا فكَّك علم الكلام الأمة التي بناها القرآن المجيد ليجعل منها فرقاً وشيعاً وأحزاباً، واستعملت الأحاديث الموضوعة والضعيفة... وكل قضايا الكلام والملل والنحل يقتطع المتناحرون فيها آيات من كتاب الله تعالى عن سياقاتها ويبترونها من نظمها ووحدتها ونسقها، ليجعلوا منها

---

[17] طه جابر العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران* (بيروت: دار الهادي، 2003م)، 12.

[18] طه جابر العلواني، *أزمة الإنسان ودور القرآن الكريم في الخلاص منها* (دار الشروق، 2005م)، 47.

[19] الهواجس في اللغة هي الخواطر التي ترد على الذهن وتشكل ضاغطاً عليه، انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، *كتاب العين*، تحقيق: مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال)، 384/3، وقضية المراجعات كانت هاجسا عند الدكتور العلواني رحمه الله سعياً لاستعادة الأمة مجدها والنهوض من جديد.

[20] انظر: طه جابر العلواني، *نحو منهجية معرفية قرآنية* (بيروت: دار الهادي، 2004م)، 294-295.

[21] انظر: العلواني، *الوحدة البنائية*، 67.

موضع شاهد... فإذا أردنا التخلص من بعض هذا التراث المصاب... فلا نجاة لنا إلا بعرضه كاملاً على القرآن الكريم في وحدته البنائية... وإعادة بناء التوحيد والإيمان على القرآن"[22]

نقلنا هذا الكلام بطوله نظراً إلى أهميته فيما يتعلق بمسألتنا، وأيضاً لمناقشته ويتجلى ذلك في الآتي:

أولاً: يأتي كلامه هنا في سياق البحث عن بديل لكتب العقيدة والكلام التي تجاوزت في طرحها مناهج القرآن وأساليبه[23]

ثانياً: هذا الكلام جاء في كتابه الوحدة البنائية بعد كتابه المتعلق بالتوحيد وعليه يفترض أن يودع فيه زبدة ما أراد قوله هناك.

ثالثاً: هذه الهجمة الشديدة على علم الكلام تتطلب السؤال عن البديل الذي طرحه الدكتور العلواني، والبديل بالنسبة له واضح وهو الرجوع إلى مناهج القرآن الكريم، لأنه يحوي القضايا الكبرى، ويعصم الأمة من الزلل، لكن السؤال كيف توصل الدكتور العلواني إلى هذه الأدلة التي يرى أن القرآن الكريم عرضها؟ إذا رجعنا إلى النماذج التي ذكرها سابقاً نجد أنه أحال على القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم كشف عن أدلة كثيرة كدليل الخلق ودليل العناية ودليل الإبداع ودليل التمانع، والسؤال الذي يفرض نفسه هل كان بالمقدور الوصول إلى هذه الأدلة لولا أن المتكلمين في الأصل خاضوا فيها وقاموا بتجليتها؟

كما أن المتكلمين لم يهملوا الأدلة القرآنية، وغالب الأدلة المتعلقة بالوجود والوحدانية لا يُخاطَبُ بها المسلمون بعضهم بعضا، وإنما يخاطبون بها غيرهم ثم يربطون الدليل العقلي بالنقلي، فهذا مثلا إمام الحرمين الجويني (ت: 478هـ) يتحدث بتفصيل على وحدانية الله تعالى ويسوق الأدلة العقلية على ذلك ويقدّم دليل التمانع ثم يقول" وذلك مضمون قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)} [الأنبياء: 22][24]، ونلحظ هذا عند الكمال بن الهمام (ت861هـ) الذي انطلق من الآيات القرآنية المنبهة على الأدلة العقلية المرتبطة بالنظر في هذا الكون، وذكر بعض الآيات التي فيها الدعوة إلى التفكير والتأمل، ثم قال: "فمن أداه نظره في عجائب تلك المذكورات اضطره إلى الحكم بأن هذه الأمور مع هذا الترتيب المحكم الغريب لا يستغني كل عن صانع أوجده"[25].

وهذا الكلام هو توجيه لما يسمى بدليل العناية الإلهية ودليل العلة الغائية، فهذا الكون وما فيها من ترتيب

---

[22] العلواني، *الوحدة البنائية*، 66، 69-71.

[23] العلواني، *ابن تيمية وإسلامية المعرفة*، 23.

[24] عبد الملك الجويني، *لُمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة*، تحقيق: فوقية حسين محمود (مصر: عالم الكتب، 1987م)، 99.

[25] حسن الخطاف، "سمات الكلام الماتريدي في متون المتأخرين: التفتازاني والكمال بن الهمام نموذجًا"، *مجلة جامعة الأنبار*، 4/14 (2003م)، 96.

وتنظيم يدل على المنظم المرتّب وهو الله سبحانه وتعالى

والذي أراه أن المعاصرين ما كانوا ليذكروا دليل التمانع وغيره من الأدلة على أنها أدلة قرآنية لو لم يستفيدوا من مناهج المتكلمين وشروحهم.

رابعاً: مع دفاعنا عن علم الكلام من حيث الجملة، وأنه لا بديل عنه، فإن هذا لا يعني استحسان كل ما جاء في علم الكلام، ومن ذلك الخوض المبالغ فيه بقضية الصفات وعلاقتها بالذات وقضية خلق القرآن، والتعويل على أحاديث لا تصلح للاحتجاج، ومع القول بأهمية علم الكلام في ذلك العصر، فلا يُنكر أنَّ بعض المباحث قد أثَّرت على وحدة الأمة كالحديث عن الفرقة الناجية... وكان الأحرى أن يتجه أهل الكلام إلى خصومهم الخارجين بشكل كامل عوضا عن الانشغال ضد بعضهم في بعض المسائل

خامساً: لم يشتت علم الكلام الأمة، فقد كان له الدّور الأكبر في التصدي للفلاسفة والثانوية والمجوس واليهود والنصارى، وكانت المعتزلة من أبرز الفرق الكلامية، ولها دور واسع في حماية العقيدة الإسلامية بالحجة العقلية، فقد وقفوا أمام الزنادقة والفلاسفة[26].

سادساً: يتعين علينا إن أردنا أن نعيد للقرآن منزلته أن نجعله متحكماً ومشرفاً على علم الكلام كما ذهب الدكتور العلواني، ولكن وفق منهجية محددة منضبطة، ولعلنا نعثر على هذه المنهجية عند الدكتور العلواني من خلال كتابه التوحيد، إذ من الملاحظ حتى الآن أن ما ذكره من قضية الوحدة البنائية لتكون مرجعاً لعلم الكلام أو لغيره لم تتضح معالمها.

سابعاً: اتضح من النص الذي نقلناه عن الدكتور العلواني اطلاعه على علم الكلام، ولم يكن مجرد ناقد، وخاصة في قضايا تعد من المسائل الدقيقة في علم الكلام، كقضية عدم التعويل على المنقول في مواجهة من لم يؤمن به، ولا يلتزمه، والذي أراه أن هذه القضية تسجل كعامل إثراء وقوة للمتكلمين، فهم بتوجههم العقلي يريدون أن يُلزموا غير المؤمنين، وإلا فإن الانطلاق من النص القرآني بحدّ ذاته ليس دليلا مفحما لغير المؤمنين، فماذا لو أن كل خصم مع الآخر قدم دليله النقلي كاليهودي والبوذي والنصراني والمسلم فما

---

[26] ومن المعتزلة إبراهيم بن سيار النظام (ت:221) الذي رد على آرائهم ردًا قوياً ورد أيضاً على الثنوية والدهرية وأبطل كلامهم وممن رد على المانوية واصل بن عطاء (ت:130)، ورد أبو هاشم بن أبي علي الجبائي (ت:321) على القائلين بالطبائع، ورد أبو الحسين الخياط (ت:403) على ابن الراوندي في كتاب الانتصار، ووقف الجاحظ (ت:255) أمام الدهرية والمانوية والمجوسية والزرادشتية وله كتب في الرد على اليهود والنصارى، ورد أبو الهذيل العلاف (ت: 235) على الثنوية، وأسلم الكثير منهم على يديه، وحملة السنة من أهل الحديث والفقه كانوا يتحرجون من الخوض في مثل هذه المسائل سيرًا وراء سكوت السلف عن ذلك انظر: حسن الخطاف، *الصفات الإلهية عند الأشعري* (تونس: جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، رسالة ماجستير، 1999م)، 89.

المرجع في هذا؟

لا بد من قاسم مشترك يخضع له الجميع، ولا يمكن أن يكون القاسم الذي يحتكم إليه هو النص الذي يقدمه كل واحد، فإن قيل: النص الذي يقدمه كل واحد هو التفكير في النص والانطلاق منه والبحث في دلائله فهذا يرجعنا إلى قضية العقل.

المطلب الثاني: 2.2 مفهوم التوحيد وعلاقته بالوحدة البنائية

كتب الدكتور العلواني كتابا سماه "التوحيد والتزكية والعمران" والكتاب جاء في مائة وعشرين صفحة، وخصّص لقضية التوحيد أكثر من مائة صفحة، وأبرز المواضيع التي تحدث عنها في القسم المخصص للتوحيد أنه تحدث عن أنواعه وأهميته في كل الرسالات، وتحدث عن بعض آثاره وعن منزلة الشهادتين، وما يستدعيه التوحيد من وحدة العالم، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن عالم الغيب والشهادة، وذكر من عالم الغيب الملائكة والجن والشياطين، ثم تحدث عن الإيمان بالرسل والأنبياء، وعن اليوم الأخر، والإيمان بالسنن الإلهية، ثم عن تجليات التوحيد في المعرفة، وتفسير العالم وتجليات التوحيد في النظام السياسي، وختم الحديث عن الجمع بين القراءتين: الوحي والكون.

وذكر في مقدمة حديثه عن التوحيد أنه يمثل الهرم في المنظومة القرآنية، وعنه تتفرع سائر المنظومات، والذي يأخذ هذه المكانة –عنده– هو التوحيد الذي جاء به القرآن المجيد نقياً خالصاً[27].

ويقصد بالتوحيد الذي جاء به القرآن: هو "الحكم اليقيني بوحدانيته تعالى، والعلم اليقيني، والإدراك الجازم لتلك الوحدانية، ونفي الشريك والشبيه والند والضد والمساوي والوسيط، وتجريد ذلك اليقين بالوحدانية عما يتصور أو يتوارد في الأفهام ... ونسبة سائر صفات الكمال التي تقتضيها الإلهية وتستلزم الأسماء والصفات، ووصف الله تعالى بها ذاته العلية ونسبتها إليه دون تشبيه أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل يخرجها عن سياقها"[28].

مفهوم هذا التوحيد بالشكل الذي عبَّر عنه لا نجد فرقاً كبيرا بينه وبين غيره، فالمتكلمون– الذين انتقدهم– لم يبتعدوا كثيرا عن هذه التعابير، ومن ذلك مثلاً قول الباقلاني (ت:403هـ) "ويجب أن يعلم أن صانع العالم جلت قدرته واحد أحد، ومعنى ذلك أنه ليس معه إله سواه، ولا من يستحق العبادة إلا إياه... لا شبيه له ولا نظير... والدليل على أن صانع العالم على ما قررناه قوله تعالى { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)} [الأنبياء: 22] والدليل المعقول مستنبط من هذا

[27] العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 12–90

[28] العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 12–13.

النص المنقول" [29] واللافت للانتباه هو التأكيد على الاستدلال بالنقل من القرآن مما يعّزز ما ذكرناه سابقا أن المتكلمين لم يهملوا النص.

بل هناك من هو أسبق من الباقلاني في هذا المفهوم، ومن ذلك قول الطحاوي نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن "الله لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ...لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام"[30]، ولا نريد الإكثار من النقول في هذا المعنى، فلم يختلف المتكلمون من أشعرية وماتريدية ومعتزلة في هذا المفهوم [31].

ثم نرى الدكتور العلواني ينتقل بعد ذلك إلى مسألة أخرى وهي أنواع التوحيد، وهنا يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: هي توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ومفهوم توحيد الألوهية عنده يعني حصر كل ما يشتمل عليه مفهوم العبادة من ضروب التوجه والتوسل والتعبد والاستعانة والدعاء والتبتل، وقد يطلق على هذا النوع من التوحيد أيضاً توحيد العبادة، وأما توحيد الربوبية فهو شامل للإقرار بوحدانية الله تعالى في الخلق والملك والتدبير، وأما توحيد الأسماء والصفات فيشتمل على الإقرار بتفرده جل وعلا في سائر أسمائه وصفاته، وإثبات كل ما أثبته سبحانه لنفسه، ونفي كل ما نفاه عن ذاته العلية.. وتجنب الانغماس في التأويل والتعطيل والتشبيه والتكييف والتمثيل [32].

وهذا التعريف للتوحيد موجود في كتابه: أفلا يتدبرون القرآن[33]، وهو تقسيم مأخوذ من تقسيم ابن تيمية (ت: 728هـ) رحمه الله[34]، وهذا واضح من الختم الذي جاء به في نهاية كلامه" وتجنب الانغماس في التأويل والتعطيل والتشبيه والتكييف والتمثيل " والمهم الذي يعنينا هنا أن هذا التقسيم الثلاثي لا يشهد له ما يسمى عنده بالوحدة البنائية للقرآن الكريم، وجلبه لبعض الآيات لتشهد له على هذا التقسيم هي أشبه ما يكون بالنقد الذي وجهه للمتكلمين عندما جعل علم الكلام سببا في تقسيم الأمة، ومما يؤخذ على هذا التقسيم:

أولا: أنه لم يكن مبنياً على قضية استقرائية لمعنى الرب، ولمعنى الإله في القرآن الكريم الذي يرى الانطلاقة

---

[29] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، *الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به*، تحقيق: محمد زاهد الكوثري (مصر: المكتبة الأزهرية، 2000م) 32-33.

[30] أبو جعفر الطحاوي، *العقيدة الطحاوية* (بيروت: دار ابن حزم، 1995م)، 8.

[31] انظر: في هذا المفهوم، علي بن إسماعيل الأشعري، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، تحقيق: هلموت ريتر (ألمانيا: دار فرانز شتايز، 1980م)، 156-157، فقد نقل في مقالات الإسلامية كلاماً طويلاً عن مفهوم التوحيد عند المعتزلة.

[32] العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، 114-115.

[33] انظر: طه جابر العلواني، *أفلا يتدبرون القرآن معالم منهجية في التدبر والتدبير* (القاهرة: دار السلام، 2010م)، 60.

[34] انظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*، تحقيق: محمد رشاد سالم (السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986م)، 289/3.

منه ليكون بديلا عن مناهج المتكلمين، ولا نريد التوسع في هذه المسألة العقدية، وأقول باختصار أن القرآن استخدم كلمة الرب وكلمة الإله بمعنى واحد ولم يفرق بينهما من حيث ما يترتب عليهما[35] فمن كفر بالربوبية فهو كافر بالألوهية وليس كما يُقال بأنَّ المشركين كانوا مقرين بالربوبية كافرين بالألوهية، وهذا فرعون يقول الله تعالى عنه{فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)} [النازعات: 23، 24] ولم يقل أنا إلهكم، وكان القصد من ذلك هو الطاعة، وعندما تحدث القرآن عن الأنبياء بيَّن أنهم كذبوا الله في الربوبية فهما بمعنى واحدٍ، فالربوبية والإلهية بمعنى واحد [36].

ثانيا: هذا ليس قاصرا على القرآن، فالسنة ساوت بين مصطلحي الربوبية والألوهية، ومنها ما جاء في سؤال الملكين "مَن ربك وما دينُك ومَنْ نبيُك؟"[37].

ثالثا: لم يفرق المتكلمون والمفسرون بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية قبل القرن السابع، وقد صرحوا بأن العرب كانوا يكفرون بالرب، وهذا الطبري في تفسيره " وقوله (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ) يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكارًا منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم.[38]

رابعا: لا تشكل علينا بعض الآيات، فالقرآن يتحدث هنا عن قضية التناقض في قولهم، بمعنى لو كنتم مصدقين بشكل يقيني أن الله هو الخالق على الحقيقة لآمنتم به، ولكنه ادِّعاء لا يتجاوز الألسنة.

والناظر إلى مفهومه للتوحيد يجد فيه خلطاً بين مفاهيم عدة، ومنها: مفهوم الوجود، ومفهوم الإيمان، ومفهوم الغيبيات... وأدخل تحت مفهوم التوحيد ما يستدعيه التوحيد، وأيضاً الآثار التي تبنى على مفهوم التوحيد، أي أننا لا نجد فواصل معرفية منهجية لفصل التوحيد عن غيره.

ولعل الجانب الأكثر أهمية عنده في حديثه عن مفهوم التوحيد هو التركيز على الآثار المبنية على التوحيد، فالتوحيد ينبغي أن ينعكس على جزئيات المعرفة وعلى جوانب التصور والفكر وعلى الواقع الاقتصادي

---

[35] وهذا نجده في الآية 80 من سورة التوبة، والآية 18 من سورة إبراهيم.

[36] وهذا موجود بكثرة في القرآن ومن ذلك الآيات 123-127.

[37] محمد بن عيسى الترمذي، *سنن الترمذي*، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م)، "أبواب تفسير القرآن" 15 (رقم 3120)، والحديث عن البراء، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة} [إبراهيم: 27] قال: "في القبر إذا قيل له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك ": قال الترمذي «هذا حديث حسن صحيح».

[38] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *تفسير الطبري*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (السعودية: دار هجر للطباعة والنشر، 2001م)، 96/21.

والاجتماعي والسياسي وعلى الأخلاق والآداب والفنون بل وعلى جميع جواتب الحياة[39].

فهْمُ التوحيد بهذه الشاكلة هو فهم غير منضبط، وهو فهم ينظر إلى الآثار المترتبة على دلالات القرآن أكثر من دلالات التوحيد، فضرورة استقامة السلوك وفق التصورات النظرية هو مبحث واسع، ولم يهمله العلماء، وإن لم يلتفت إليه علماء العقيدة، والسبب في هذا أن مباحث العقيدة ومنها التوحيد جاءت وفق معاصرة من ينكر التوحيد ويثبت الوجود، ولأجل هذا يمكن القول إن ما فهمه الدكتور العلواني عن التوحيد أصوله مبثوثة في كتب العقيدة والأخلاق والمعاملات والعبادات، وليس منصوصاً عليها في كتب الكلام، فالانصياع للقيم السياسية المتعلقة بالعدل مثلاً، هو موجود في كتب السياسة الشرعية والأخلاق، والخضوع للقيم الاقتصادية وفق الشريعة موجود في كتب الفقه من حيث الضوابط، وموجود في القرآن والسنة من حيث الأدلة، أي أن التوحيد بالشكل الذي رآه الدكتور العلواني هو توسيع لمفهوم التوحيد.

والدليل أيضاً على توسيع مفهوم التوحيد وعدم انضباطه أن التوحيد عنده يُعبَّر عنه بشهادتي "لا إله الا الله محمد رسول الله"[40].

وهذا في الواقع هو أوسع من مفهوم التوحيد في كتب الكلام، فالاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان جزءاً من العقيدة إلا أنه موجود في كتب الكلام في مبحث مستقل فالغزالي (ت:505هـ) مثلاً خصص له مبحثاً منفصلاً تحت عنوان: إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[41]، وخصص أبو منصور البغدادي (ت:429هـ) مبحثاً طويلاً في الحديث عن معنى النبوة والرسالة وإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والحديث عن العصمة[42]، وخصص القاضي عبد الجبار المعتزلي الجزء الخامس عشر كاملاً للحديث عن النبوات وما يتعلق بها [43].

ومما لوحظ أنه أضاف –تحت عنوان التوحيد– كلَّ ما يستلزمه الإيمان، ومن ذلك أضاف عالم الغيب وعالم الشهادة، والحديث عن الدار الآخرة، والحديث عن الرسل، وعالم الجن والشياطين، والإيمان بالكتب[44].

وهذه الإضافة تؤكد لنا أن مفهوم التوحيد عنده مفهوم واسع غير منضبط، فأنْ نجعل كل ما يستلزمه

---

[39] انظر: العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 18.

[40] العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 14.

[41] انظر: محمد بن محمد الغزالي، *الاقتصاد في الاعتقاد*، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م)، 11.

[42] انظر له: أبو منصور البغدادي، *أصول الدين*، تحقيق: أحمد شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م)، 174.

[43] انظر له: *التنبؤات والمعجزات*، تحقيق: محمود محمد قاسم، ومراجعة: إبراهيم مدكور، وإشراف طه حسين. وأيضاً خصص كتاباً كاملاً تحت مسمى: تثبيت دلائل النبوة، ذكر فيه الكثير من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام، وأجاب عن المطاعن التي يمكن أن تخدش في مفهوم النبوة، انظر: القاضي عبد الجبار الهمذاني، *تثبيت دلائل النبوة*، تحقيق: عبد الكريم عثمان، بيروت: دار العربية.

[44] العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 25.

التوحيد داخلا في مفهوم التوحيد لا يصح منهجياً ولا ينضبط علمياً؛ إذ هذا اللازم لا يختص بالتوحيد، فماذا لو قلنا ما يستدعيه الإيمان باليوم الآخر، أو ما يستدعيه الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام، أو ما يستدعيه الإيمان بكون القرآن كتاباً منزلاً من قبل الله تعالى، فإنه يمكن لنا أن ندخل فيه ما أدخله الدكتور العلواني، ولنأخذ نموذجاً عن ذلك: الإيمان بوجود النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فإن الإيمان به يستلزم الإيمان بكل الرسل، وبكل الكتب التي نزلت، ويستدعي الإيمان بعوالم الغيب، والإيمان بالبعث، والإيمان الجنة والنار، وأصل الانسان، ويستدعي الإيمان بالأركان العملية كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ويقتضي الإيمان به أن نؤمن بكل القيم الأخلاقية التي طلبها النبي عليه الصلاة والسلام أو جاءت في القرآن الكريم، وكذلك الإيمان بترك كل الأخلاق القبيحة... وبهذا الشكل يصبح الإيمان به إيماناً بكل اللوازم، ومثل ذلك الإيمان باليوم الآخر.

ولأجل هذا نقول: إن توسيع مفهوم التوحيد ودلالاته تجعله مفهوماً فضفاضاً غير منضبط.

والسؤال الذي يلح علينا وهو أصل الحديث في عنوان الدراسة: أين الوحدة البنائية هنا في قضية التوحيد، وكيف توصل إليها؟ لا نجد جوابا دقيقا على ذلك.

ومما يُلحَظ أنه في سياق عنايته بالتوحيد نجده يتحدث عن مستوياته، وذكر ثلاثة مستويات هي الأبرز فيما يراه، وقد تحدث في المستوى الأول عن الآيات المتضمنة للتوحيد والتي ليست مرتبطة بنبي[45]، والمستوى الثاني هو الآيات التي تدل على أن التوحيد هو محور رسالات الأنبياء جميعاً [46]، والمستوى الثالث هو مستوى الاستدلال على التوحيد، أي الأدلة القرآنية التي فيها النقاش والجدال الدالة على التوحيد، وذكر أكثر من خمسة وستين آية فيها ذكر العلم الإلهي وجعل من هذه الآيات دالة على التوحيد [47]، واللافت للانتباه في المستوى الثالث أنه ذكر آيات لاعلاقة لها بصفة العلم[48]

وذكر في نهاية ذكر الآيات الدالة على العلم أن هذه الآيات شرحت حقيقة علم الله تعالى وأنواعه ومعلقاته، وذكر أن علماء الأُمة" لو عرضوا القضايا العقدية على هدي القرآن لأبعدوا الأُمة عن هذا التمزق، ولوفروا على أنفسهم كثيراً من الجدل، نحو هل علم الله تعالى مخلوق، وهل هو ذاته أو غيره، وغير ذلك من أسئلة وتساؤلات، وصاغوا علماً سموه توحيدا أو عقيدة وكلاماً وأصول دين ما زاد الناس إلا

[45] ومن ذلك الآية رقم 163 من سورة البقرة، والآية 255 من سورة البقرة.

[46] ذكر آيات كثيرة، ومنها الآية 65 من سورة الأعراف.

[47] انظر في هذه المستويات: العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 48-62.

[48] ومن هذه الآيات الآية رقم 26 من سورة الكهف، والآية 28 من سورة لقمان، انظر في مجموع الآيات التي ساقها: العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 55-59.

حيرة وبلبلة "[49]

وقد أصاب الدكتور العلواني الصواب في ضرورة الاستغناء عن بعض التفاصيل المتعلقة بصفات الله تعالى، لكن الشيء الذي لا ندرك فهمه، كيف جعل الحديث عن صفة العلم دالاً على توحيد الله تعالى؟ لعله أدخل مفهوم العلم في التوحيد لكونه من المستلزمات للوحدانية، وقد ذكرنا هذا سابقاً، وإذا صح هذا فإن كل ما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعوالم الغيب من مستلزمات التوحيد.

ولا نريد الإطالة في ذكر المواضيع التي أدرجها تحت مفهوم التوحيد، والذي يعنينا مما سبق أمران:

الأول: أنه توسع في مفهوم التوحيد توسعاً كبيراً، فأدخل فيه كل ما يستلزمه التوحيد، وإذا سلكنا هذا المنهج فلن يبقى للتوحيد مزية على غيره، فيمكن أن نتحدث عن مفهوم الإيمان وندخل تحته كل المستلزمات.

الثاني: أننا لم ندرك على وجه الدقة الوحدة البنائية بهذا الشكل، ولم يرشدنا إلى منهج علمي دقيق في إدراك هذه الوحدة.

المبحث الثالث: 3. مفهوم المحكم والمتشابه وعلاقته بالوحدة البنائية

المطلب الأول: 3.1 الهواجس المتعلقة بالمحكم والمتشابه والدّافعة لاستجلاب الوحدة البنائية

يدخل هذا العنوان تحت قضية المراجعات الفكرية التي شغلت الدكتور العلواني، والحاكم لهذه المراجعات والمصوب لها هو الوحدة البنائية، وبناء على ما سبق يفترض أننا نجد مراجعة نقدية لمفهوم المحكم والمتشابه انطلاقاً من الوحدة البنائية، فكيف نظر الدكتور العلواني للمحكم والمتشابه في ظل الوحدة البنائية؟

يمكن القول ابتداء إن هذا المفهوم كان من أبرز المفاهيم التي شغلت الدكتور العلواني، حيث خصص لها كتاباً كاملاً مكوناً من ثمانٍ وثمانين صفحة، وبذل فيه قصارى جهده وفق الوحدة البنائية، وقد طبع الكتاب سنة 2010.

ذكر في المقدمة لكتابه أن التقسيم إلى محكم ومتشابه هو نوع من الفهم المتسرع عند العلماء، وهو فهم راجع إلى الأخذ بظواهر قوله تعالى {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: 7] وأن هذا الفهم سرى في العلوم الإسلامية، والسبب الذي أوقع العلماء في هذا أنهم فسروا كلاً من مصطلحي المحكم والمتشابه وفق الاصطلاحات والمواضعات اللسانية والجذور اللغوية دون التقيد بلسان القرآن وعربيته، ودون التفات كاف إلى الفروق الدقيقة بين الاستعمال الإلهي والاستعمال البشري، فبدأت

[49] العلواني، *التوحيد والتزكية والعمران*، 60.

هذه الإشكالية بالظهور ثم الاستفحال والتوسع[50].

ورأى أنَّ سبب الخلاف في مفهوم المحكم والمتشابه هو أن للقرآن لغة راجعة إلى الاستعمال الإلهي، وأن تجاهل هذا الاستعمال هو الذي أوقع العلماء في مفاهيم المحكم والمتشابه، ومؤدى ما سبق أنه سيعول على لغة القرآن دون فهم أصحاب الفقه والأصول والكلام. فما المنهج الذي يراه ضروريا لفهم المحكم والمتشابه بعيدا عن الفهم السائد المغلوط؟

المنهج هو القرآن ذاته، وفي هذا يقول: "وفي رسالتنا هذه سنحتكم إلى القرآن ذاته، وسنتبين أن هذا القرآن المجيد قد جاء بياناً واضحاً ظاهراً لا لبس فيه ولا غموض عند من يحسن قراءته"[51].

وقد خصص الفصل الأول من كتابه للحديث عن إشكاليه المحكم والمتشابه في العلوم الإسلامية، وذكر معنى المحكم والمتشابه عند المفسرين، وذكر من المفسرين فخر الدين الرازي، وذكر خمسة من المعاني للمحكم، ومنها: المحكم ما لا تختلف فيه الشرائع، والمحكم هو الناسخ، والمحكم ما أُحكم فيه بيان حلاله وحرامه، وعكس ذلك المتشابه، وقام بنقدها والاعتراض عليها، لأنها تقوم على فكرة الغموض التي ينبغي ألا تكون موجودة في القران الكريم الذي جاء بياناً للناس، ثم ذكَّر بالمنهج الذي ينبغي الاحتكام إليه، وبيان ذلك أن القرآن له منهج لا يُعرف إلا باستقراء " معهوده وإدراك نظمه وسياقه وأساليبه وعاداته، والقرآن الكريم كلٌّ متكامل ذو وحدة بنائية يُفهم الجزئي منه بالرد إلى الكلي في وحدته البنائية"[52].

ويعترض على القول بأن المتشابه هو الخفي، ويرى أن ذلك يعود لسببين:

السبب الأول: جاء من خلال التسوية بين لغة العرب ولغة القرآن، فلما كان المتشابه في لغة العرب هو الخفي الغامض فُهم من ذلك أن المتشابه في القرآن هو الخفي الغامض، وهذا عنده خطأ في الفهم، لأن لغة العرب التي نزل بها القرآن تُعبِّر عن مضامين اجتماعية وثقافية بعيدة عن مُراد القرآن، فالقرآن ليس امتداداً لها، فالغامض والمتشابه في لغة العرب غير المتشابه في القرآن الكريم[53] وحل الإشكال هنا لابد من قراءة القرآن الكريم قراءة "شمولية تكاملية لمعرفة معهوده هو"[54].

وكما أن المناهج اللغوية لم تفلح في معرفة المتشابه، فكذا المناهج العقلية لم تفلح عندما رأت أن المحكم ما تؤيده الأدلة العقلية، والمتشابه ما كان مرتبطاً بالألفاظ، فهذا المنهج الذي ذهب إليه الرازي وجمهرة المعتزلة

---

[50] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه* (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2010م)، 7.

[51] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 7.

[52] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 10.

[53] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 14.

[54] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 15.

والمعاصرون ليس عليه دليل.

السبب الثاني: أن المذهبية الكلامية المبنية على التراشق والرمي بالابتداع كانت قاصرة عن دراسة الآيات القرآنية دراسة شمولية فجعلت المختلف فيه هو المتشابه لانشغالها بالاختلاف[55].

ومن غير التوسع في الرد فإننا نجد تحاملاً شديداً من قبل الدكتور العلواني على السابقين، وخاصة المتكلمين حيث جعل الاختلاف بينهم مانعاً من كثير من الفهوم، ومنها فهم المحكم والمتشابه.

بل إنه رأى أن الانشغال بهذه الخلافات كان أكثر أهمية عندهم من السعي لفهم الخطاب القرآني، وفي هذا يقول: " أُقحم مفهوم المحكم والمتشابه في دوامة السجالات الكلامية، باعتبار أن المتشابه هو الغامض، فكان بذلك ملاذاً للمتراشقين، ففي ظل هذه الاستقطابات يفهم القرآن على أنه خطاب توصيفي للتفريق والتحزب... وقد فات هذه الفرق كلها أن القرآن الكريم حبل الله المتين... إلا أنهم جعلوه بقراءتهم المجزأة... تابعاً لمذاهبهم"[56].

وخلاصه ما أراد قوله: أن "تحكيم العقل والرواية ولغة العرب –كانت– سبباً في التباس مفهوم المحكم والمتشابه"[57].

المطلب الثاني: 3.2 مفهوم المحكم والمتشابه وعلاقته بالوحدة البنائية

القرآن الكريم كله مُحكم عنده، ومعنى الإحكام أنه محكم في نظمه وإتقانه، أو من الحكمة التي اشتملت عليها آياته، وهذا الإحكام الكامل للقرآن الكريم أخذه من قوله تعالى {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ (1)} [هود: 1] وفي الوقت ذاته كله متشابه أخذاً من قوله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر: 23] أي يشبه بعضه بعضاً في مقاصده ونظمه وإعجازه، وهدايته، وإحكامه، وحكمته"[58]. وعليه يكون هنا تناسق بين الإحكام والمتشابه "فلأنه متشابه بكل خصائصه التي تحدى الخلق بها كان لا بد أن يكون محكماً في بنائه كله... ولكن الإحكام والتشابه على مستويين: على مستوى عام وهو الذي سبق ذكره، وعلى مستوى خاص، فيكون الإحكام في بعضها أكثر بروزاً وظهوراً "[59].

أي أن الإحكام نوعان: عام وخاص، والمتشابه نوعان: عام وخاص، ولكن الخاص يكون في بعض الآيات في حال فهم بعضها عن بعض، ولذا لا بد أن تفهم في ضوء بعضها، ويأتي هنا دور الوحدة البنائية ليفهم

---

[55] انظر في هذين السببين: العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 13-17.

[56] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 17-18.

[57] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 20.

[58] انظر: العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 38.

[59] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 39.

البعض في ضوء الكل، هذا خلاصة ما أراد قوله، فكيف توصل إلى هذه النتيجة؟

توصل إلى ذلك من خلال المنهاج الذي رسمه في فهم المحكم والمتشابه، وهذا المنهج هو الأصل في فهم القرآن الكريم عنده، وغياب هذا المنهاج هو الذي أوقع العلماء في إشكاليات كثيرة، ويقوم هذا المنهج على "النظر في محددات القرآن المنهجية، وفي مقدمتها وحدة القرآن البنائية، وقراءته كله انطلاقاً من تلك الوحدة، ثم الوقوف المتدبر الطويل عند أول ما ينبغي النظر فيه وتدبره وهو ثلاث آيات ورد فيها وصف القرآن الكريم بالإحكام والتشابه"[60].

الذي يعنينا مما سبق: وضوح المنهج الذي سيسلكه في فهم المحكم والمتشابه، وهو الانطلاق من الوحدة البنائية، وهذه الوحدة تعني حصر الآيات الواردة فيها لفظ المحكم والمتشابه ثم تدبرها، وهذا التدبر لا بد أن ينطلق من معهود القرآن الكريم لهذه المعاني، والنظر إلى ما قاله اللغويون، والقراءة مراراً من خلال سياقها، وكل ذلك "في إطار وحدة السورة البنائية، ثم وحدة القرآن الكريم كله"[61].

وقد انطلق من أن السورة لها وحدة بنائية مستقلة من خلال معنى السورة اللغوي، وبالتالي تكون كل سورة من سور القرآن محتوية على الوحدة البنائية داخل القرآن الكريم، فهي لها وحدة بنائية منفصلة، ومن جهة أخرى ينبغي أن تفهم في ضوء جميع سور القرآن[62].

وهذا الإحكام ليس خاصاً بالسورة القرآنية، بل الآيات في داخل السورة هي محكمة أيضاً، وقد توصل إلى ذلك من خلال البحث في المعاني اللغوية لكلمة الآية، فالآية في اللغة هي الجزء من القرآن الذي تفصله فاصلة، وسميت بذلك لأنها تدل على كونها من كلام الخالق، انطلاقاً من إعجازها البنائي والمعنوي[63].

وللوصول إلى الوحدة البنائية لفهم المحكم والمتشابه لا بد من المرور بمرحلتين:

الأولى هي التحليل: والمقصود بها المقارنة بين سياقات الآيات الثلاث لإدراك الروابط بينها، وأيضاً لا بد من الاطلاع على جميع المعاني والدلالات لفهم معهود القرآن من حيث الألفاظ وكيف فهمها السابقون.

الثانية التركيب: ويكون من خلال جمع سياق الآيات انطلاقاً من الوحدة البنائية والوصول إلى المعنى الحقيقي[64].

وانطلق في التحليل من خلال حصر الآيات الواردة فيها الإحكام والتشابه، وهي ثلاث آيات: الأولى

---

[60] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 43-44.

[61] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 44.

[62] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 47-48.

[63] انظر: *العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 50.

[64] انظر: *العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 45.

قوله تعالى: من سورة الزمر الآية 23، والثانية الآية 7 من سورة آل عمران، والثالثة هي الآية الأولى من سورة هود، وسنقف عند الآية الثانية من سورة آل عمران وهي قوله تعالى

وسنقف عند قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ... (7)} [آل عمران: 7] حيث قام بتحليل معنى الآية وحصرِ تكرارها، وقام بذكر معنى (أم الكتاب) وأنه ورد هذا التركيب في مواضع ثلاثة من القرآن الكريم، ومما استنتجه بعد ذكر معنى (أم) في اللغة وبعض الألفاظ الأخرى هو أن آية آل عمران تدل على تقسيم القرآن إلى قسمين محكمات ومتشابهات، فالمحكمات هنَّ (أم الكتاب) وأصله، وأما المتشابهات فهي التي تشبه في دلالتها وفي مضامينها ما ورد في الكتب السابقة، وهذا الذي ورد في الكتب السابقة ينبغي عدم الالتفات إليه، ومن يتبعه فهم الذين في قولهم زيغ؛ لأن فيه اتباعا لأهل الكتاب[65].

ويُناقش هذا الكلام بأنه:

أولاً: حمل المتشابه في هذه الآيات على أنه من الشبه الذي ورد عند أهل الكتاب، وهذا الحمل ليس دقيقا، وقد حاول جاهداً إثبات ذلك بادعاء أن السياق جاء في مناقشة النصارى، وذلك بعد أن فرغت سورة البقرة من مناقشة اليهود، فهذا التشابه عنده هو الذي جعل في قلوبهم زيغا وصدا عن سبيل الله تعالى. [66] فهذا السياق لا دليل عليه، ولا دليل على أن سورة البقرة تم ختمها بالحديث عن اليهود، ولا أن سورة آل عمران انشغلت بالحديث عن النصارى، نعم تم ذكر اليهود والنصارى في الآية الثانية من سورة آل عمران، والآية التي تتحدث عن المحكم والمتشابه جاءت في الآية السابعة، وليس بين الآية الثالثة والسابعة ما يفيد الترابط الذي ذكره.

ثانياً: لا يتوافق مفهوم التشابه هنا الوارد في الآية مع ما قرره سابقاً أن القرآن كله يشبه بعضه بعضاً.

ثالثاً: حمْلُ الذين في قلوبهم زيغ على اليهود والنصارى هو تضييق من دلالة الآية، ولم يقدم لنا أدلة تفيد انطلاقاً من الوحدة البنائية ما يفيد أن الزيغ مرتبط بهم، وقد وردت كلمة الزيغ وما يتعلق بها في القرآن قريبا من عشر مرات، ولم تكن بهذا التضييق للمعنى الذي جاء به[67].

والمعنى الذي يفيده الزيغ هو الانحراف، وهو أوسع من قصره على أهل الكتاب، وقد أخبر سبحانه وتعالى أن المهاجرين والأنصار كادت قلوب بعضهم تزيغ، كما في سورة التوبة الآية 117، والزيغ هو الميل عن

---

[65] انظر: العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 51.

[66] انظر: العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 72-73.

[67] انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* (القاهرة: دار الحديث، 1364هـ)، 334.

الطريق المقصود، ففي غزوة تبوك لشدة المشقة كادت قلوب بعضهم تزيغ[68].

رابعاً: حاول أن يثبت الفرق بين نزّل وأنزل: لبيان أن القرآن الكريم عندما يتعرض للكتب السابقة يستخدم (أنزل) ولا يستخدم (نزّل)، وذلك لأنه في آية سورة آل عمران جاء اللفظ (أنزل) وبعد بحث تبين له أن هذا غير مطرد[69].

خامساً: إذا حملنا الآية على أنها خطاب لأهل الكتاب، فما هو الشيء الموجود في القرآن الكريم الذي يكون مشابهاً لما عندهم؟ لم يقدم لنا دليلاً على ذلك، ونص الآية واضح: فأما الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل، فهناك اتباع واضح لشيء من الآيات القرآنية عند من زاغت قلوبهم، ومن المعلوم أن اليهود والنصارى لم يتبعوا شيئاً، ولو أنه قال: إنهم المنافقون لكانت دلالة الآية أكثر وضوحاً.

سادساً: إذا حملنا الذين زاغت قلوبهم على أهل الكتاب بقصد الصد عن الدعوة، فكيف نفهم قوله تعالى: {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: 7] فكيف يكون معنى التأويل بناء على أن حمل الذين زاغت قلوبهم هم أهل الكتاب؟ لم يبين لنا هذا المعنى.

ثامناً: الناظر إلى المسألة يجد تأثُّرا واضحاً من الدكتور العلواني بابن تيمية رحمه الله، وهذا التأثر برز في مفهوم التوحيد، وفي مفهوم المحكم والمتشابه[70]، مع ملاحظة أساس الانطلاق من ابن تيمية وهو شيء لم يذكره الدكتور العلواني، فالأساس الذي انطلق منه ابن تيمية هو أساس عقدي؛ إذ هو يرى أن الآيات المتعلقة بالصفات والتي جعلها البعض من المتشابه أنَّ معناها معلوم وثابت لله تعالى، وخلاصة ما أراد قوله في قضية المحكم والمتشابه: هو أن ابن تيمية –عنده– حاول أن يبرهن من خلال بعض كتبه أنه لا يوجد متشابه لا يعلمه أحد، فالدلائل الكثيرة تدل "على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره، وهذا مما يوجب القطع به... وأكد على أن المتشابه عند الإمام أحمد وأتباعه يعرف العلماء معناه"[71].

وهذا الذي ذكره الدكتور العلواني صحيح، فابن تيمية لا يرى شيئاً في القرآن متشابهاً، والذي لم ينبّه إليه الدكتور العلواني أن ابن تيمية لم ينطلق من نفس المنطلق الذي سار عليه الدكتور العلواني، وإنما جاء من منطلق العقيدة، فآيات الصفات أو ما يسمى بالنصوص الموهمة للتشبيه معلومة عند ابن تيمية، فهناك استواء حقيقي، وهناك يد حقيقية لله تعالى، والمتشابه الذي ينبغي الابتعاد عنه هو حقيقة النزول أو

---

[68] انظر: محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير* (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، 49/11.

[69] انظر: العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 59.

[70] وله كتاب حول ابن تيمية كما سبق أن أحلنا عليه.

[71] العلواني، *نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه*، 27.

كيفيته، وحقيقة اليد،[72] ، فابن تيمية يرى حمل النصوص على ظاهرها، وليس ذلك من التشبيه[73].
فالانطلاقة من كليهما مختلفة من جهة الغاية الدافعة ومن جهة المنهج المستخدم.

الخاتمة

بعد أن يسّر الله تعالى إتمام البحث يمكن القول إنَّ الغاية التي حملت الدكتور العلواني رحمه الله تعالى في النظر إلى قضيتي التوحيد والمحكم والمتشابه هو الشعور بالواجب الديني والأخلاقي في إعادة النظر في مثل هذه القضايا، فالواقع الفكري والأخلاقي والسياسي الذي تعيش فيه الأمة ألقى بثقله عليه ليقوم بالمراجعة، وهذا الهمُّ هو وراء الانكباب على نظرية المعرفة وما يرتبط بها، ومن يقع في همٍّ لابد أن يبحث عن أنجع الطرق في التخلص منه، ولو سألت أيَّ مسلم عن أبرز الحلول لقال لك هو القرآن الكريم.
بناء على ما سبق ولَّى وجهه نحو القرآن الكريم بحثا وتدبرا، وقد رأى أنه لمس ضالته في الوحدة البنائية للقرآن الكريم ليجعل من هذه الوحدة عمودا يرتكز عليه في كل مراجعة فكرية.
والذي بان– من خلال البحث– أن هذه الوحدة التي تقوم على مرتكزات ثلاثة هي التوحيد والتزكية والعمران لا يختلف مسلم في أهميتها وأن القرآن جاء بها، لكنَّ الإشكال في جعل هذه الوحدة البنائية علاجا لِما يرى أنه يحتاج إلى علاج، فالإشكال الذي ظهر لي – ولم يستطع التخلُّص منه الدكتور العلواني– أنه إشكال على مستوى التطبيق والتنزيل، وقبل ذلك إشكال على مستوى الملامح والمحددات.
لا نجد الملامح الواضحة المكوّنة للوحدة البنائية الموجودة في السورة الواحدة، ولا هذه الوحدة في القرآن كاملا، فهي ليست اللغة لأن هناك فرقا بين لغة العرب واللغة المعهودة من القرآن، ولأن اللغة فيها الحقيقة والمجاز والمشترك والمواضعة... ومع هذا لابدّ من اللغة.
والوحدة البنائية ليست ضمًّا للآيات مع بعضها، فالضم لابدّ منه لكنه لن ينتج وحدة موضوعية، ولذا لم يصل المفسرون بمن فيهم الذي اشتغلوا بالأحكام وفسروا القرآن بالقرآن إلى هذه الوحدة.
وأيضاً –وهذا مما نفهمه من دراساته الأخرى وخاصة المتعلقة بالسنة– أنَّه لا ينبغي التعويل على المنقول في الوصول إلى هذه الوحدة، أي أنه لابد من اللغة ولابد من ضم الآيات إلى بعضها ولابد من المنقول ولكن الوحدة ليست هي هذه، وإنما هي شروط لها.
وهذه الشروط لمسناها من خلال نظره في التوحيد، وفي المحكم والمتشابه حيث قام بهذه الخطوات، والتي

---

[72] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004م)، 144/13.

[73] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *بيان تلبيس الجهمية*، تحقيق: مجموعة من المحققين (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ)، 1/ 163.

أطلق عليها عملية (التحليل، والتركيب) والتركيب مرتبط بالمعنى، وهذا المعنى الذي توصل إليه من خلال هاتين القضيتين هو محلُّ نظر.

فالنتائج المترتبة على التوحيد جعلت مفهوم التوحيد مفهوما فضفاضا وإن حاول أن يضبطه ابتداء، فقد أدخل تحت مسمى التوحيد كلَّ لوازمه من وجود الله تعالى وصفاته ومن الغيبيات... بل أدخل فيه حتى القضايا العملية كالأخلاق والتزكية، وعندها – إذا صحَّ كلامنا– لن نجد فرقا بين التوحيد وغيره، فيمكن أن نجعل كل هذه القضايا بما فيها التوحيد من لوازم الإيمان بيوم القيامة، أو من لوازم الإيمان بالقرآن الكريم...

وكذا لا نجد الأدلة المقنعة لنفي المتشابه عن القرآن بالمعنى الذي يريده، لأن الإجراءات التي اعتمدها من جهة اللغة والسياق والمنقول لم تكن مقنعة، وأبرز خطأ فيها هو تجاوز السياق الوارد في الآيات المدروسة.

ومما لوحظ غياب عمودي الوحدة البنائية (وهما التزكية والعمران) في فهم التوحيد وفي فهم المحكم والمتشابه بالشكل الذي قدّمه، فإذا كانت الوحدة البنائية مرتكزا مُهمّا في المراجعات الفكرية وخاصة الكلامية فلِمَ لم يتم التعويل على الوحدة البنائية كاملة والمكونة من الأعمدة الثلاثة؟

والذي لا يخفى على القارئ الشدّة التي عامل بها الآخرين اثناء المراجعات الفكرية وخاصة المدرسة الكلامية، فالمدرسة الكلامية لم تكن بالسوء الذي صوّره لنا، وكان لها الفضل في كثير من الأوقات في حماية العقدية الإسلامية مع بعض الملاحظات التي نوافق فيها الدكتور العلواني كالتعمُق في الصفات والاستعانة ببعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

وهذه الشدة – الموجّهة للمدارس الكلامية – نلمسها عند ابن تيمية رحمه الله تعالى في تعامله مع المدرسة الكلامية، ويبدو تأثُّر الدكتور العلواني بابن تيمية واضحا في هذه الشدة، وفي مفهوم التوحيد الذي انطلق منه وفي مفهوم المحكم والمتشابه، فقد تأثر الدكتور العلواني بابن تيمية في مفهوم التوحيد في التركيز على وحدة الألوهية والربوبية، وفي مفهوم المتشابه، ولم يربط الدكتور العلواني فهم ابن تيمية للمتشابه بالجانب العقدي. فابن تيمية عندما جعل المتشابَه واضحاً معلوماً أراد من وراء ذلك إثبات ظواهر النصوص المتشابهة كاليد والوجه... مع تفويض الكيفية لله تعالى.

وبهذا يكون التشابه بين ابن تيمية وبين الدكتور العلواني أن كلاً منهما اتّجه إلى إصلاح الواقع الذي يراه، مع ملاحظة أن الحامل على فهم المتشابه عند ابن تيمية هو عقدي، وأما الاختلاف بينهما فهو في الأدوات المستخدمة عند كلٍّ منهما، ومن أبرز هذه الفوارق عناية ابن تيمية بالمنقول من السنة ليفهم فيها

القرآن.

التوصيات

مما يوصي به السير وراء المراجعات الفكرية التي فتح فيها الدكتور العلواني رحمه الله نافذة واسعة مع ضرورة السعي إلى وضع ضوابط أكثر متانة.

Değerlendirme	İki Dış Hakem / Çift Taraflı Körleme
Etik Beyan	Bu çalışmanın hazırlanma sürecinde bilimsel ve etik ilkelere uyulduğu ve yararlanılan tüm çalışmaların kaynakçada belirtildiği beyan olunur.
Benzerlik Taraması	Yapıldı – Turnitin
Etik Bildirim	turkiyeilahiyat@gmail.com
Çıkar Çatışması	Çıkar çatışması beyan edilmemiştir.
Finansman	Bu araştırmayı desteklemek için dış fon kullanılmamıştır.
Yazar Katkıları (Makale Çift veya Üç Yazarlı olduğu taktirde)	Çalışmanın Tasarlanması: 1. Yazar (%40), 2. Yazar (%30), 3. Yazar (%30) Veri Toplanması: 1. Yazar (%40), 2. Yazar (%30), 3. Yazar (%30) Veri Analizi: 1. Yazar (%40), 2. Yazar (%30), 3. Yazar (%30) Makalenin Yazımı: 1. Yazar (%40), 2. Yazar (%30), 3. Yazar (%30) Makale Gönderimi ve Revizyonu: 1. Yazar (%40), 2. Yazar (%30), 3. Yazar (%30)
Peer-Review	Double anonymized - Two External
Ethical Statement	It is declared that scientific and ethical principles have been followed while carrying out and writing this study and that all the sources used have been properly cited.
Plagiarism Checks	Yes - Turnitin
Conflicts of Interest	The author(s) has no conflict of interest to declare.
Complaints	turkiyeilahiyat@gmail.com
Grant Support	The author(s) acknowledge that they received no external funding in support of this research.
Author Contributions (If the article is written by two or three authors)	Design of Study: 1. Author (%40), 2. Author (%30), 3. Author (%30) Data Acquisition: 1. Author (%40), 2. Author (%30), 3. Author (%30) Data Analysis: 1. Author (%40), 2. Author (%30), 3. Author (%30) Writing up: 1. Author (%40), 2. Author (%30), 3. Author (%30) Submission and Revision: 1. Author (%40), 2. Author (%30), 3. Author (%30)

المصادر والمراجع/ References

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *بيان تلبيس الجهمية*، تحقيق: مجموعة من المحققين. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة 1، 1426هـ.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى. جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004 م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. تحقيق: محمد رشاد سالم. السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة 1، 1986م.

ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

الأشعري، علي بن إسماعيل. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق: هلموت ريتر. ألمانيا: دار فرانز شتايز، الطبعة 3، 1980م.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. تحقيق: محمد زاهد الكوثري. مصر: المكتبة الأزهرية، الطبعة 2، 2000م.

البغدادي، أبو منصور. أصول الدين، تحقيق: أحمد شمس الدين. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 2002م.

الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة 2، 1975م.

الجويني، عبد الملك. لُمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة. تحقيق: فوقية حسين محمود. مصر: عالم الكتب، الطبعة 2، 1987م.

الخطاف، حسن. "سمات الكلام الماتريدي في متون المتأخرين: التفتازاني والكمال بن الهمام نموذجاً"، مجلة جامعة الأنبار، العدد(4) **المجلد**(14) **كانون الأول** 2023 م

الخطاف، حسن. الصفات الإلهية عند الأشعري. تونس: جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، رسالة ماجستير، 1999م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تفسير الطبري. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. السعودية: دار هجر للطباعة والنشر، 2001م.

الطحاوي، أبو جعفر. العقيدة الطحاوية. بيروت: دار ابن حزم، الطبعة 1، 1995م.

عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث، 1364هـ.

العلواني، طه جابر. ابن تيمية وإسلامية المعرفة. الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ/1995م.

العلواني، طه جابر. أزمة الإنسان ودور القرآن الكريم في الخلاص منها. دار الشروق، 2005م.

العلواني، طه جابر. أفلا يتدبرون القرآن معالم منهجية في التدبر والتدبير. القاهرة: دار السلام، 2010.

العلواني، طه جابر. التوحيد والتزكية والعمران. بيروت: دار الهادي، الطبعة 1، 2003م.

العلواني، طه جابر. الوحدة البنائية للقرآن المجيد. القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة 1، 2006م.

العلواني، طه جابر. معالم في المنهج القرآني. مصر: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، الطبعة 1، 2010م.

العلواني، طه جابر. نحو منهجية معرفية قرآنية. بيروت: دار الهادي، الطبعة 1، 2004م.

العلواني، طه جابر. نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2010م.

الغزالي، محمد بن محمد. الاقتصاد في الاعتقاد. تحقيق: عبد الله محمد الخليلي. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 2004م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

الهمذاني، القاضي عبد الجبار. التنبؤات والمعجزات. تحقيق: محمود محمد قاسم. ومراجعة: إبراهيم مدكور. وإشراف: طه حسين.

الهمذاني، القاضي عبد الجبار. *تثبيت دلائل النبوة*. تحقيق: عبد الكريم عثمان. بيروت: دار العربية.

Kaynakça / References

İbn Teymiyye, Ahmed b. Abdilhalim. *Beyânü telbîsi'l-Cehmiyye*. thk. Mecmû'a mine'l-muhakkikîn. Riyad: Mecma'u'l-Meliki'l-Fehd li Tıbâ'ati'l-Mushafi'ş-Şerîf, 1. Basım, 1426/2006.

İbn Teymiyye, Ahmed b. Abdilhalim. *Minhâcü's-sünneti'n-nebeviyye fi nakzi kelâmi'ş-Şi'a ve'l-Kaderiyye.* thk. Muhammed Reşad Sâlim. Riyad: Câmi'atü'l-İmâm Muhammed b. Suûd el-İslâmiyye,1. Basım, 1986.

İbn Teymiyye, Ahmed b. Abdilhalim. *Mecmû'u'l-fetâvâ.* thk. Abdurrahman b. Muhammed b. Kâsım. Riyad: Mecma'u'l-Meliki'l-Fehd li Tıbâ'ati'l-Mushafi'ş-Şerîf, 2004.

İbn Âşûr, Muhammed et-Tâhir. *et-Tahrîr ve't-tenvîr*. Tunus: ed-Dârü't-Tûnisiyye li'n-neşr, 1984.

el-Eş'arî, Ali b. İsmâil. *Makâlâtü'l-İslâmiyyîn ve'htilâfü'l-musallîn*. thk. Helmuth Ritter. Almanya: Dâru Franz Şitayz, 3. Basım, 1980.

el-Bâkıllânî, Ebû Bekr Muhammed b. Tayyib. *el-İnsâf fimâ yecibu itikadühü ve lâ yecûzü'l-cehlü bihî*. thk. Muhammed Zâhid Kevserî. Mısır: el-Mektebü'l-Ezheriyye, 2. Basım, 2000.

el-Bağdâdî, Ebû Mansûr. *Usûlü'd-dîn*. thk. Ahmed Şemsüddîn. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-'İlmiyye, 1. Basım, 2002.

et-Tirmizî, Muhammed b. Îsâ. *Sünenü't-Tirmizî*. thk. Ahmed Muhammed Şâkir vd. Mısır: Matbaatü Mustafâ el-Bâbî el-Halebî, 2. Basım, 1975.

el-Cüveynî, Abdülmelik. *Lümeʻü'l-edille fî kavâʻidi ehli's-sünne ve'l-cemaʻa*. thk. Fevkıyye Hüseyin Mahmûd. Mısır: ʻAlemü'l-Kütüb, 2. Basım, 1987.

el-Hattâf, Hasan. *"Simâtü'l-Kelâmi'l-Mâtürîdiyyi fî Mutûni'l-Müteehhirîn: et-Teftâzânî ve'l-Kemâl b. el-Hemmâm nemûzecen"*. Mecelletü Câmi'ati'l-Enbâr 14/4 (Kânûnü'l-Evvel-2003), 96.

el-Hattâf, Hasan. *es-Sıfât el-ilâhiyye 'inde'l-Eş'arî* . Tunus: Câmi'atü-z-Zeytûne, el-Ma'hedü'l-A'lâ li Usûli'd-Dîn, Risâletü mâcistîr, 1999.

et-Tahâvî, Ebû Ca'fer. *el-'Akîdetü't-Tahâviyye*. Beyrut: Dâru İbn Hazm, 1. Basım, 1995.

Abdülbâkî, Muhammed Fuâd. *el-Mu'cemü'l-müfehres li elfâzi'l-Kurâni'l-kerîm*. Kahire: Dârü'l-Hadîs, 1364/1945.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *Efelâ yetedebberûne'l-Kurân me'âlim menheciyye fi't-tedebbür ve't-tedbîr*. Kahire: Dârü's-Selâm, 2010.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *İbn Teymiyye ve İslâmiyyetü'l-ma'rife*. Ürdün: el-Ma'hedü'l-'Âlemî li'l-Fikri'l-İslâmî, 1415/1995.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *Ezmetü'l-insân ve devrü'l-Kurâni'l-kerîmi fi'l-halâsi minhâ*. Beyrut: Dârü'ş-Şurûk, 2005.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *et-Tevhîd ve't-tezkiye ve'l-'umrân*. Beyrut: Dârü'l-Hâdî, 1. Basım, 2003.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *el-Vahdetü'l-binâiyye li'l-kurâni'l-mecîd*. Kahire: Mektebetü'ş-Şurûki'd-Devliyye, 2006.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *Me'âlimu fi'l-menheci'l-Kurânî*. Mısır: Dârü's-Selâm li't-Tıbâ'a ve'n-Neşr ve't-Terceme, 1. Basım, 2010.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *Nahve menheciyyetin ma'rifiyyetin Kurâniyyetin*. Beyrut: Dârü'l-Hâdî, 1. Basım, 2004.

el-Alvânî, Tâhâ Câbir. *Nahve mevkıfin Kurâniyyin min işkâliyyeti'l-muhkem ve'l-müteşâbih*. Kahire: Dârü's-Selâm li't-Tıbâ'a ve'n-Neşr ve't-Terceme, 2010.

el-Gazzâlî, Muhammed b. Muhammed. *el-İktisâd fi'l-i'tikâd*. thk. Abdullah Muhammed el-Halîlî. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-'İlmiyye, 1. Basım, 2004.

el-Ferâhîdî, Halîl b. Ahmed. *Kitâbü'l-'Ayn*. ed. Mehdî el-Mahzûmî-İbrâhim es-Sâmerrâî, b.y.: Dâr ve Mektebetü'l-Hilâl, ts.

el-Hemedânî, Kâdî Abdülcebbâr. *Tesbîtü delâili'n-nübüvve*. thk. Abdülkerîm Osman. Beyrut: Dârü'l-'Arabiyye.

el-Hemedânî, Kâdî Abdülcebbâr. *et-Tenebbuât ve'l-mu'cizât*. thk. Mahmûd Muhammed Kâsım, mürâca'ât: İbrâhim Medkûr, işrâf: Tâhâ Hüseyin. b.y.: y.y., ts.